الاتساع – دراسة في الرؤيتين اللغويةِ والإبداعية*

الكلمات المفتاحية : ظاهرة ، الاتِّساع، اللغوية

البحث مُستل من أطروحة دكتوراه

م.م. هدى صيهود زرزور
دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية
Khalidali1976@yahoo.com

أ.م.د. باسم محمد إبراهيم الفهد
جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الإنسانية
Bassm2020g@gmail.com

الملخص

انطلاقاً من قناعات معرفية تؤكد أن الاتِّساع ظاهرةٌ حتمية وضرورةٌ من ضرورات اللغة العربية؛ تناول بحثنا تتبع هذه الظاهرة في التراث العربي من منابعها الأولى، والوقوف على مسارها وتحولاتها، وضوابطها في الدراسات القديمة والحديثة؛ للوصول إلى مفهوم يؤصل الثوابت ويرتقي بالطروحات الجديدة؛ لصياغة تصور مفهومي مُغاير يمثل نظرة تجديدية لظاهرةِ الاتِّساع في الفكر البلاغيِّ والنقديِّ العربيِّ.

المقدمة

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبهِ.

وبعد :

فإنَّ للاتِّساع – فيما هو مطروح من تنظيرات – قوة على التشكُّل يتسنَّمُ بها درجةً عالية من تبلور المفاهيم؛ بإزاء تبلور اصطلاحي مماثل، لأنه يمثلُ ظاهرة تقترنُ بمستويات اللغة المتعددة، وما تتسمُ به من رحابةٍ وقدرةٍ على النماءِ والتجدُّدِ، والغنى في المفرداتِ والأساليبِ؛ مواكبةً للتطور الذي يجعلها مطاوعةً لاستيعابِ مُستجدات الحداثةِ، ومستلزماتِ العصر، وما يرتبط به من علاقاتٍ أُسلوبية : استبدالية، وتجاورية، ومعجمية، بوصفِ (الاتِّساع) ظاهرةً تستمدُ معانيها منذُ القدم من قاعدةِ الاشتقاق، ووضع الأسماء للأشياء بحسب ظهورها؛ لذلك ارتبط هذا المفهوم بشكلٍ وثيق بلغة التنزيل الحكيم، والحديث النبوي الشريف، فنجدُ أنفسنا أمام حاجة مُلحَّة إلى استقراء هذه الظاهرة، والوقوف عند تحولاتها الدلالية في الموروث المعرفي وتتبع المفهوم عند علماء اللغة والنحو والدلالة والقراءات والصرفِ، وإدراكِ مواطن الإبداع وما تنطوي عليه من آفاقٍ معرفية في المنظور اللسانيّ الحديث

والمعاصر، مما يفتح المجال لدراساتٍ مستقبلية تتحرر من قيود التبعية للقواعد المعيارية الصارمة، فهي ضرورة من ضروراتها، وعامل من عوامل نموّها وتطورها المعرفي.

وبما أن (الاتِّساع) يشكِّل عُمدة الإبداعين اللغوي والبلاغيِّ، اتخذ تلمسنا لهذه الظاهرة المنهج الوصفي التحليلي، بالاحتكام لمجموعةٍ من الرؤى الفكرية المعرفية في تراثنا العربي، للوصول إلى مفهوم جامعٍ يستوعبُ أبعاد هذه الظاهرة بلاغياً، كما أُنيط بدراستنا تحديد مفهوم قارّ للاتِّساع البلاغي في القرآن؛ رغم قلة الدراسات التي تناولت الظاهرة بلاغياً، أو – إن صح القول– نُدرتها، مما شكّل صعوبةً من صعوبات البحث الأكاديمي، وقد استند البحث إلى مجموعة قيمة من المصادر الأصلية، ولُفيات من المراجع، حققت الغاية المرجوة في الوصول إلى نتائج استنطقت ظاهرة الاتِّساع، وجذّرت أصولها، بوصف تلك الظاهرة محاولة مُضافة؛ لإعادة صياغة مبادئ الاتِّساعِ في ضوء المعرفة المُعاصرةِ.

وآخر دعوانا أن الحمدُ للهِ رب العالمين

أولاً ـ دلالاتُ الاتِّساع في الموروث المعرفي :

١– **في معاجم اللغة** : لعلَّ اجماعُ التأسيس المعجمي على ارتباط مادة (وَسَعَ) بدلالةِ النمو والزيادةِ، على الرغمِ من تعددِ معانيها، يكشفُ عن امتلاك اللغةِ العربية الحيّة الطيّعة لظاهرةٍ لا تضيقُ من استيعابِ مرامي الشعرِ والنثرِ، بوصفها ضرورةً من ضروراتِ استمرارها وصلاحيتها للتداولِ والتواصل، إذ أن أصلَ السِّعة في الكلام، كثرةُ أجزاء الشيء، فيُقال إناءٌ واسعٌ، وبيتٌ واسعٌ، أو قد يكونُ للغنى والجدّة، فلانٌ يُعطي من سَعَةٍ، أو فلانٌ واسعُ الرحلِ: الغني[١]، ويكشفُ التتبع الدقيق في متون المعاجم والمؤلفات عن دقة الألفاظ المتصرّفة من الجذر المذكور، نحو (السَّعَة) و(التوسُّع) و (الاتِّساع) ويُشار بها إلى معانٍ وثيقة الصلة بالمعنى اللغوي، فقد يردُ (التوسعُ) ضدَ التضييق، يُقال: ((وسَّعتُ الشيءَ فأتْسعَ واستوسعَ))[٢]، و((توسَّعوا في المجلس، أي: تفسَّحوا))[٣]، وإلى هذا المعنى ذهب الزمخشري (ت٥٣٨هـ) حينَ أوردَ قول النابغة[٤] :

تسعُ البلادَ إذا أتيتُكَ زائراً إذا هجرتُكَ ضَاقَ عنيّ مَقْعَدي

وَسَاقَ امثلةً متنوعة تتضمنُ معنى المجاز، منها قول الاخطل[٥]:

اليومَ أجهِدُ نفسي ما وسِعْتُ لكُم وهل تُكلَّفُ نفسٌ فوقَ ما تَسَعُ

ويبدو واضحاً التقارب الدلالي لمعاني الاتِّساع عند ابن منظور (ت٧١١هـ)[٦] والزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) لمن سبقوهم، مع التأكيد على ذكر الزبيدي لكتاب (التوسِعَة)[٧] في سياق معانيهِ، فالمعنى اللغوي يتجّهُ اتجاهين، الأول : منهما نتيجةٌ للثاني، فالسِعةُ وليدَةُ الضيقِ، فقد ذكر ابن منظور قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ١١٥]، وفسرّها أبو إسحاق بقصدِ التجوز والترخص والمسامحة[٨].

٢- **في القرآن الكريم** : ولم تغفل الدراسة تتبع دلالات (وَسَعَ) في القرآن الكريم حيث وردت لتدلّ على المعاني الآتية :

أ. **الكثرة والوفرة من المال، وقدرة ذاتِ اليد** : قال تعالى: ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنْ الْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧].

ب. **الاستيعاب والإحَاطة** : قال تعالى : ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

ج. **القدرة والطاقة** : قال تعالى : ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾ [النساء: ١٣٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٣]، وقال تعالى : ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [طه: ٩٨]، وقوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، وقوله تعالى : ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

د. **الرحابة والوسعة** : قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت:

٥٦]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]، وقوله تعالى : ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ [الزمر: ١٠].

وكل هذهِ الدلالات اللغوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بدلالة (الاتِّساع) مصطلحاً، فهو ظاهرة عامة تتجاذبها علومٌ كثيرة كاللغةِ، والنحوِ، والفقه وأصولهِ، والقراءاتِ، والدلالةِ، والصرفِ، والبلاغةِ وسواها، ولا مجال للتعرضِ لها هنا بشكلٍ تفصيلي يُبِّينُ مسوغاتها، وضوابطها، لأن بحثنا مُخصص لدراسة الاتِّساع من جانبٍ بلاغي وأُسلوبي، على أن هذا الهدف لن يمنع من الإشارة إلى مفهوم (الاتِّساع) العام في تلك العلوم؛ لبيان أنَّ ثمَّة صلة وثيقة بين هذه العلوم ومجالاتها المتعددة وبين مدلول الظاهرة فيها.

٣- <u>مفهوم الاتِّساع عند علماء اللغة والنحو</u>:

ظلَّ مفهوم (الاتِّساع) ولفتراتٍ طويلة مفهوماً عائماً في كتبِ النحاةِ، فلم نجد لهُ إلاَّ إشاراتِ مبثوثة، نثبتها بجملة من المسائل :

أ- إن أولى دلالات الاتِّساع في كلام اللغويين والنحاة، أن يكون في الكلام خروجٌ عن الأصل على وجهِ التجوز والمسامحة؛ بحيث يكون الخارج واقعاً في غير موضَعهِ، توسعاً في اللغةِ.

ب- إنّ ضابط الخروج عن الأصلِ لا يتنافى مع الفصاحةِ، إذ إن كثيراً من صوره مَقِيسٌ في الاستعمال، ويبدو ان فكرة (الأصل) تمثلُ قاعدةً مهمة من قواعدِ النظرية النحوية.

ج- يشترك مع مصطلح الاتِّساع اللغوي ألفاظٌ أربعة استعملها اللغويون والنحاة بمعناها الاصطلاحي وهي :

١ - مصطلح التجوّز [٩]

٢ - مصطلح التصرّف[١٠]

٣ - مصطلح التساهل والمسامحة[١١]

٤ - مصطلح التفسُّح[١٢]

د- صَدَّرَ النحاة في فهمهم لظاهرة الاتِّساع خروجاً عن الأصل، عمّا صدر عنه سيبويه، وكثُرت في مصنفاتهم عبارات (الاتِّساع) و(سَعَة الكلام) و(التوسُّع)، يصفون بها أمثلة سيبويه التي تحاوروها ونظائرها.

هـ- بَلَغَ من اتِّساع اللغة انها تُمكّن المتكلم من توسيع مساحة اللفظ ومفهومهِ، ونقلهِ من المعنى الخاص الدّال عليهِ إلى معنى أعمَّ وأشمل[١٣]، مما يؤكد أن الاتِّساع ظاهرةٌ شاملة تتغلغل في مستويات اللغة.

و- في الاتِّساع اللغوي يمتزجُ المعنى النحوي بالمعنى البلاغي؛ انطلاقاً من الروابط الوثيقة بين العلمين، إذ يحمل اللغويون كثيراً من أساليب التوسُّع على المجاز، مؤكدين أن ((علم المعاني يقوم على تمثّل علم النحو وقوانينهِ واصولهِ، وان المجاز يجعل التعبير أكثر قوة وبلاغةً))[١٤].

٤- <u>مفهوم الاتِّساع في علم الصرف</u> :

اتسع البحث اللغوي ليصبح ضرورة للتعبير عن الأغراض المستجدة؛ نتيجة لاستيعاب تراثِ العديد من الأمم الأخرى وفنونها وفلسفتها، يُضاف إلى ذلك ((أن العرب التمسوا الاشتقاق لنحتِ الألفاظ الدّالة على المعاني والأسماء التي لم يكن لها استعمالٌ من قبل))[١٥]. فكان من ضرورة نمو اللغة وصياغة المصطلحات التوليد الصرفي الذي يُعدُّ موضوعاً أساساً من موضوعات اللغة؛ إذ تشترك في حيثياتهِ وتمييزه بوصفه فرعاً من فروع المعرفة اللغوية، فيرد ذكرُ الاتِّساع عند الصرفيين دالاً على خلافٍ القياس، والخروج عن الأصل في مواضعَ أبرزها :

أولاً : وضعُ جمع الكثرة موضع جمع القلة[١٦].

ثانياً : الاتِّساع في الموازين الصرفية[١٧].

ثالثاً : إبدال الحروف لضربٍ من التوسع[١٨].

٥- <u>مفهوم الاتِّساع في علم الدلالة</u> :

يرتبط مفهوم التوسِّع الدلالي بالتطور اللغوي الذي تشهده الدراسات الحديثة؛ فاللغة وسيلةٌ للتواصلِ ومرآةٌ للمجتمع، ومن الطبيعي أنَّ تطور اللغة يرافقهُ تطورٌ ملحوظٌ في الدلالة بوصفها علماً لغوياً يهتمُ بـ ((دراسة المعنى، أو ذلك الفرع الذي يتناول نظرية المعنى والشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى))[١٩] وللوصول إلى ذلك؛ لابدَّ من التأكيد على أنهُ هُناك شبكة من العلاقات تبدأ بالكلمة وتتوزع في النص كُلّهِ ضمن السياق؛ فالكلمة تحتلّ مركزاً محورياً في الدرس الدلالي بمستوياتهِ المعنوية؛ لأنها ((ذات دلالات معجمية تتشكَّلُ اولاً بالصيغة))[٢٠]، وتنحرفُ الى دلالاتٍ مجازية يحدها

السياق ((فالمفردات في الحقيقة لا تحمل في ذاتها دلالة مطلقة؛ إنما تتحقق انطلاقاً من السياق))[٢١]، ويمثلُ هذا الانطلاق الدور البارز للسياق العام في تفاعل دلالة العلاقاتِ بالتراكيب وما تحملهُ من اصناف قواعدية او بلاغية، فضلاً عن عدم اغفال دور النص العام وقيمتهِ بوصفهِ تشكيلاً كلامياً ذا سياقٍ مُعين لهُ بدءٌ وانتهاءٌ محددانِ.

أصاب ابن جني مفهوم الاتِّساع الدلالي قائلاً: ((هذا بابُ اللفظ يرِدٌ محتملاً لأمرين أحدهما : أقوى من صاحبهِ، أيُجازان جميعاً فيه؟ أم يقتصر على الأقوى منهما دون صاحبهِ؟))[٢٢] وهذا ما أكده الدرس الدلالي الحديث[٢٣].

وباستقراءِ هذا النهجِ من الاتِّساع الدلالي، فإننا حملناه في دراستنا على الاتِّساع القرآني عبر بلاغته الأُسلوبية التي يفرضها السياق العام ((فاتِّساع معنى كلمة ليعطي مدلولات أوسع وأكثر، يُحِدث تغيرات ناجمة عن الاتِّساع في الحذف والزيادة والتقديم والتأخير))[٢٤] مما يؤسس رؤية منهجية متكاملة لمفهوم الاتِّساع الدلالي في الأُسلوب القرآني.

٦- <u>الاتِّساع في علم القراءات القرآنية</u> :

شغلتْ القراءات القرآنية أذهان النحاة منذُ نشأة النحو؛ ذلك أن النحاة الأوائل كانوا قرّاء كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، ويونس، والخليل وغيرهم، ولعلَّ عنايتهم بهذهِ القراءات كانت الدافع الى دراسة العلوم النحوية؛ ليلائموا علم القراءات وعلوم العربية، إذ يكشف علم القراءات عن الكثير من الظواهر اللغوية المهمة الصوتية والصرفية، والنحوية، والدلالية ؛ حتى عُدَّ رافداً من روافد الدرس اللغوي العربي الذي لا يمكن تجاهله أو التقصير فيه.

إنَّ المتأمل في الدرس اللغوي العربي يتلمس تأثره الواضح والملموس بمؤلفات علم القراءات؛ إذ لا يكاد يخلو كتاب في أصوات العربية وصرفها ونحوها من جملةٍ كبيرةٍ من القراءات، وما يتصلُ بها من مسائل مثّلتْ القواعد والضوابط التي أصّلتْ ورفدت مفردات هذه العلوم، إذا ما سلّمنا بحقيقة مضمون هذهِ القراءاتِ ((إنَّ هذا القرآن أُنزلَ على سبعةِ أحرفٍ فأقرؤا ما تيسر منه))[٢٥]، مما يؤكد أن القرآن الكريم نزل على هذه الأحرفِ، والمرادُ بها القراءات المتعددة التي تتسّعُ لبعضِ ظواهر اللهجات العربية السائدة؛ ليكون التحدي للعرب جميعاً أتمُّ، والإعجاز أشمل ((ولو جاء القرآن كله بالأفصحِ لكان على غير النمطِ المعتاد من كلام

العرب في الجمع بين الأفصحِ والفصيحِ؛ فلا تتم الحجة الاّ بالإعجاز))[٢٦]، وتأسيساً على ذلك فإنَّ الوجهة المنهجية لعلوم العربية ترنو الى تحقيق الهدف الدلالي المشترك لمفهوم الاتِّساع في الموروث المعرفي، فقد أكد القاضي الحموّي (ت٧٩١هـ) على دلالة مصطلح الاتِّساع في علم القراءاتِ وأوردَ لهُ تعريفاً وافياً بقولهِ: ((الاتِّساع هو إعطاءُ الحركة فوقَ حقّها من المدّ لتصبح حرفاً، والحركاتُ : رفعٌ ونصبٌ وجرٌ، وصفة النطق بكّل منهن أن تأتي بها على النصف مِن أمها، فاتِّساع كل من الحركات مؤدٍ الى صيرورتها حرفاً، وذلك نحوٌ قبيحٌ، وزيادةٌ في كلام الله تعالى))[٢٧]، ويؤكد في موضعٍ آخر أنَّ ((الاتِّساع: هو إتمام حكمٍ مطلوب لتضعيف الحركة قبل الهمز، عند من يقرأ به، فتنقلب الفاً، وقد يُعبر به عن المجيء بكمال الحركةِ من غير اختلاسٍ))[٢٨].

٧- <u>مفهومُ الاتِّساع في المنظور اللساني الحديث والمعاصر :</u>

يعمدُ تشييدُ النصوص الإبداعية الى استثمار امكانات اللغةِ، وتوظيف طاقاتها التعبيرية توظيفاً نوعياً هادئاً، ينهض بمحمولات توليدية جديدة عِبرَ سلسلة من التراكيب الإنزياحية حيث تسهم الدراسات اللسانية الحديثة في تعضيد الدلالة المتشكلة في الأنساق اللغوية مع الحرص على ((أمن اللبسِ لأن اللغة أداة اتصال بين أطرافٍ مختلفة، تحقق القرائن التي يتبين بها المعنى))[٢٩]، وتوظيفها في الدرس اللساني الحديث بوساطة ربط الأصالة المسّماة بـ (شجاعة العربية) بأساليب جديدة في الكلام، لتوليد دلالات تأويلية خاصة في الأعمال الشعرية والأدبية عبرَ علاقات صرَّح بها الباحثون المعاصرون[٣٠] عند ترجمتهم للمصطلح الأجنبي (Deviation) بالاتِّساع أو العدول أو المجاز.

تُفصح قراءات متأنية في متون المؤلفات اللسانية الحديثة عن أثر الاتِّساع في صياغة المعاني المتحققة بطرائق موجزة بليغة، بعيداً عن البعد التجريدي للغة، عبر ربطهم عملية الكلام بعنصرين رئيسين هما : المتكلم والخطاب، حيث نلاحظ أن ظاهرة (الاتِّساع) في الدرس اللساني غالباً ما تندرجُ تحت مصطلح (التشكُّلُ المرن)[٣١] الذي يحدث وفقاً لخرق قاعدة الإسناد، بين الصورة من جهة والمعنى من جهة ثانية، ويمكن تصنيف الخارج منهما ضمن الوظيفة الإنعكاسية للغة[٣٢]، فالبحث في ظاهرة الاتِّساع يُعدُ من صميم البحث في ظاهرة العدول، مؤكداً على الطابع الرشيق للغة العربية واتِّساع مقاصدها التداولية ((فهي ليست نظاماً مفترضاً لا علاقة لهٌ بالتحقيق الفعلي أو البعد الاستعمالي للغة))[٣٣] فالتجوز

في الألفاظ، خدمةً ومراعاةً لما يقصد المتكلم من المعاني، يتنوع بحسب المقامات وسياقات التخاطب، إذا انطلقنا من فرضية أن المتكلم بإمكانهِ التعبير عن مقاصدهِ بطرائق متعددة، تقتضي التأكيد على ثبوت الطابع المتطور والمتجدد للغة وإمكانياتها التصريفية المتعددة ((فالمتكلم دائم التصرف والتجوز في التراكيب اللغوية والمقامات وسياقات التخاطب))[٣٤] وفقاً لما أقرتهُ الدراسة سابقاً من أن مفهوم (شجاعة العربية) يمثلُ في إطار الدرس اللغوي القديم طاقة اللغة الإبداعية في توليد إمكانيات تعبيرية غير مألوفة، وخلقِ استعمالاتٍ تتجاوز بمرونتها واتِّساعها القوالبَ الثابتة للنظام اللغوي المشروط بالقدرة على الاختبار الممكن المخالف للظاهر، مع وجود أكثرِ من صيغةٍ للتعبير تمثلُ بمجملها عدولاً، وكسراً لآفاقِ التوقعِ في الانحرافِ وتخطي الأصول التي اعتادها الدرس اللغوي القديم.

ثانياً: الاتِّساع البلاغي :

١- تأصيل الاتِّساع في الفكرين النقديّ والبلاغيّ :

تتجه العناية في بحثنا الى قراءة مفهوم (الاتِّساع) في الموروثين البلاغي والنقدي، في ضوء مناهج التحليل المعاصرة، بالتركيز على طروحاتِ أعلام البلاغةِ والنقدِ، وتقديم الجهود التراثية، لإعمال آلياتِ القراءةِ الجادّةِ المسلّحةِ بصرامةِ المنهج، ووضوح المرجعيةِ واتِّساع الأفق المعرفي، ومن ثَمَّ عرضُ المنجزات المعاصرة والرؤى النقدية الحديثة التي شكّلت سلسلة تواصل بين التراثِ والتجديدِ، مع التأكيد على قيمة التراث وأثره الفاعل في إنضاج وبلورة المفاهيم والتصورات، ويعدُّ ادراك التداخل المعرفي بين التراثِ والمعاصرة في المفاهيم البلاغية والنقدية جانباً من جوانب تفعيل مناهج وآليات تحليل الظواهر والإشكاليات المتصلة بالنصوص، ويفرضُ علينا هذا الإدراك التساؤل الآتي :

إلى أيّ مدىً يصحُ عدّ طروحات القدماء في البلاغة والنقد مستبقةً للمنجزاتِ المعاصرة عامة، والغربية خاصة؟ وما مقدارُ التقاطع الذي نلمسه في صياغة المفاهيم وتصوراتها بين القدماء ونظرائِهم من المعاصرين؟ وهل في وسعنا دائماً أن نعدُّ استباقاً كُلّ تصور أو مقاربة مفاهيمية لامست قليلاً أو كثيراً بُنيات المصطلحات المعاصرة، علماً ان هدف البنيات يُميزها التداخل والتراكب والانتظام ضمن أنساقٍ معرفية عابرة للتخصصات؟

كُلّ هذه التساؤلات يكشفُ عنها بوضوح تأصيل المفاهيم أولاً، وتتبع جذورها الأولى، والوقوف على مدى التداخل الذي يُميزها من الدراسات الحديثة ثانياً، وهي ليست دعوة لاستنطاق التراث المعرفي وتبجيل قراءات عَفى عليها الزمن، بقدر ما هي ضرورة مُلحَّة

لإعمال آليات البحثِ الأكاديمي الجاد والوصولِ إلى نتائجهِ الدقيقة التي لا شك في فاعليتها الإبداعية، فقد أنتجت الثقافة العربية (البلاغية والنقدية) عبر مسيرتها الطويلة إرثاً معرفياً مشتركاً بين جميع البيئات المعرفية، يستهدف أساساً صفة النص القرآني ((ودراستهِ وتحليلهِ؛ فكان لكل بيئة نصيبها من البحثِ في قضيةٍ ما، ومعالجتها بما ينسجم وطبيعة المادة الموصوفة))[٣٥]؛ ولهذا تعدُّ قضيةُ (الاتِّساع) من القضايا المهمة في تاريخ البلاغةِ والنقد الأدبي العربي، فهي أساسُ العمل الإبداعي وركيزتهِ، حيثُ شغُل النقاد والبلاغيون منذُ عهد مبكرٍ، يتضح في اشاراتِ الجاحظ (ت٢٥٥هـ) الدقيقة، منطلقاً في أكثر من موضعٍ من كتابهِ (الحيوان) بقولهِ : ((إن هذا الباب مفخر العرب في لغتهم، وبهِ وبأشباههِ أتسعتْ))[٣٦] مُصرحاً بأن الشعراء يجوِّزونَ في الشعرِ ما لا يجوزونه في غيرهِ، مستشهداً بقول ابن عُسلة الشيباني[٣٧] :

وَسمَاعَ مُدجّنةٍ تعلّلنا حتى تَنامَ تناوُمَ العُجمِ[٣٨]

فصحوتُ والنّمريُّ يحسبُها عمَّ السّماكِ وَخالةَ النَجمِ[٣٩]

والذي يلفت النظر في كلام الجاحظ، قولهُ : (يجوّزون) الذي يُفهمُ منهُ أن المجاز في مفهومهِ يعني توسُّعاً، مُفرقاً التوسّعَ في لغةِ الشعرِ عن لغةِ النثرِ، ومن أمثلتهِ قول الرسول (ﷺ) ((نعمتِ العمَّة لكم النخلةُ، خُلقت من فضلةِ طينةِ آدم))[٤٠]، وقد فُسرت نظرة الجاحظ لمفهوم الاتِّساع حديثاً بأنها مجاز وهو ((قبل كلّ شيء خروج عن المعنى الأصلي وابتعاد عنهُ؛ بوصفه مخالفة تُرتكبُ من المتكلم ضد قاعدة التطبيق بين اللفظ والمعنى))[٤١] وأكدت الدراسات البلاغية والنقدية الحديثة أنّ مفهوم (المجاز) هنا مُقابل (الحقيقة) التي يتخذها وسيلةً للاتِّساع في اللغة، وينبني على النقل القائم على التشاكل وعلاقات المتشابهة[٤٢]؛ إذ ثمّة اتفاق ضمني بين المتكلم (المبدع) والمتلقي على أن أساليب اللغة لا تُفصح بشكل مباشر عن الواقع؛ بل تُضيف اليهِ خلقاً جديداً مُغايراً. في الوقت الذي يكشفُ فيه ابن طباطبا العلوي (ت٣٢٢هـ)[٤٣] عن رؤيتهِ النقدية القائمة على ضرورة الإلتزام بالوضوح والحقيقة، مُحذراً من الخروج عن الأعراف اللغوية، واللجوء الى المجاز بما يقارب الحقيقة ولا يبتعد عنها في الشعر والنثر، وتؤكد رؤيتهُ الوعي الناضج بأساليبَ اللغة الخارجة عمّا ينظر إليهِ، ويدعو لهُ على مستوى الألفاظ والمعاني والتراكيب والصور.

أما ابن وهب الكاتب (ت٣٣٥هـ) فيتناول (الاتِّساع) من منظور التصرف باللغة، بحيث يخرجها عن الاستعمال النمطي المعياري أو المعتاد، سواءً بالمبالغةِ في الكلام أو بالحذف والاقتصار والإيجاز، مضّمناً الاستعارة والمجاز دلالة التوسّع نفسها[٤٤]، وقد أكدَّ الدكتور شوقي ضيف محاولات وضع قواعد البلاغة في إطارٍ تمخضت عنهُ رؤيته لكتابيّ الخطابة والشعر[٤٥]، وعقَّبَ الدكتور محمد صالح السامرائي رافضاً رؤية ابن وهب الكاتب باقتران الاتِّساع بالمجاز دون قيد أو شرط مُعللاً ذلك بأنهُ : ((أمرٌ لا تؤيده ضرورات الحسِّ والعقل؛ لأن وجود الأساليب المجازية في اللغة دليل على المعاني أكثر من الالفاظ، وإلاَّ فما يُلجئ الإنسان الى مثل هذه التعابير غير الصريحة))[٤٦]، وفي الوقت نفسه أرجعَ طه حسين تأويل الكاتبِ بعضَ آياتِ القرآن الكريم الى التعارضِ مع المذهب الديني الذي يلزمهُ الخروج عن النص الظاهر[٤٧].

والحقيقة أن الأبواب التي تتجلّى فيها أصالة مفهوم (الاتِّساع) تبرز بوضوحٍ عند قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) في معرضِ حديثهِ عن عيوب المعاني (الاستحالة، والتناقض الى التوسُّع) مستشهداً بقول ابن نوفل[٤٨] :

لأعْلاَجٍ ثمانيةٍ وَشيخٍ كبيرِ السنِّ ليسَ بذي ضَرِيرِ

نلمحُ أن التناقض من جهة القنية والعدم، ولدَّ مقدرةً للألفاظِ على طواعيةِ استخدامها في غير ما وضعت لهُ، مما شكَّل خروجاً عن الأعراف اللغوية التي تكشفُ بصراحةٍ عن وجود علاقةِ اصطلاحيةٍ ذات دلالةٍ واحدةٍ بين المجاز والاتِّساع، في الوقت الذي اتسعت دلالة المفهوم الاصطلاحيةِ عند الآمدي (ت٣٧٠هـ) لتأخذَ بُعداً مُغايراً لمن سبقه، وهذا البُعد يتمثلُ في تضمّن الاتِّساع دلالاتٍ متعددة منها : ما يتعلقُ باللفظ وتوسيع دلالتهِ ليشمل دلالاتٍ جديدة، فقد أوردَ بيتاً للبحتري[٤٩]:.

إنَّ الدموعَ هي الصَّبابةُ فاطَّرِحْ بعضَ الصَّبابةِ تسْترِحْ بهمولِها

ومنها ما يتعلق بالمعنى: حين عدَّ مخالفة الحقيقة عن طريق المبالغة، والإحالة التي لا تخرجُ الى الكذبِ (اتِّساعاً) ومثلَ بقولِ الشاعرِ[٥٠]:

لَو كَان يَقْعُدُ فَوْقَ الشمسِ منْ كَرَمِ قومٌ لسؤددِهم او مجِدهم قَعدُوا

في حين نفى إمكانية تأويل الكلام على الاتِّساع في قول أبي تمام[٥١]:

من الهَيفِ لو أنّ الخلاخِلَ صُيّرت لها وُشحاً جالتْ عليها الخلاخِلُ

وقد أثبت الدكتور احسان عباس إنّ رؤية الآمدي النقدية سطحية تقتربُ من المعاني القريبة للذهنِ السامعِ دون إعمال خيالٍ أو إجهادِ فكرٍ[٥٢]، أما القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ) فقد ربط مفهوم الاتِّساع من وجهةِ نظرهِ البلاغية بالتصرفِ مستعملاً ايّاهُ استعمالاً لغوياً في سياقِ المدحِ، حين عقّبَ على قصيدة (الصمد بن المعذل) في (الحمّى) فقال : ((فاحسنَ وأجادَ ومنحَ واتّسع))[٥٣]وقد كشفَ الدكتور يوسف بكّار مدى التساهل والتعامل في إشارة القاضي الجرجاني الى (الاتِّساع) وقصرهِ على اللغوي، وإخراج مفهوم الاستعارة القائم على مناسبة المستعار منهُ للمستعار لهُ؛ إذ يعدُّ أحد ثوابت عمود الشعر المعروفة، ورأى في التوسّع اللغوي اقتراباً مما يسميهِ النقد الحديث (التشخيص)[٥٤].

وقد غابَ مفهوم (الاتِّساع) عن مصطلحات الرمّاني (ت٣٨٦هـ)[٥٥] البلاغية؛ لارتباطه بمفهوم المجاز، مكتفياً بذكر البلاغة نيابةً عن المصطلحين ؛ وربمّا يعودُ ذلك لموقفهِ الديني، وهدفهِ في تجنيب القران شُبهات نفي الحقيقة عنهُ، وقد التفت الدكتور نصر حامد أبو زيد إلى أن تعريفَ الرمّاني للبلاغةِ في حدِّ ذاتهِ ضربٌ من الاتِّساع عن طريقِ التغيير في أصل اللغة ((والتي يمكنُ أن نعدَّها مدخلاً لتأويلِ بعض آيات التوحيدِ والعدلِ))[٥٦] ومما يدلُّ على أصالةِ مصطلح (الاتِّساع) بمفهومه البلاغي؛ استعماله عند الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)[٥٧]، والحاتمي (ت ٣٨٨ هـ)[٥٨]، رديفاً للعديد من أبواب البديع، يجمعُ بينهما توظيف اللغة بطاقتها الإبداعية المخترقة للغة النمطية التي يولدها السياق، وتتأكد اصالةُ المفهومِ عند أبي هلالٍ العسكري (ت٣٩٥هـ) في حديثهِ الشمولي عن موضوعات البلاغة التي هي صفة من صفات الكلام، فـ(الاتِّساع) وفقاً لرؤيتهِ قسيمُ الحقيقة : وهو استعمالُ اللفظِ او العبارة لغيرِ ما وضعا لهُ[٥٩]، مُشيراً إلى أحد مسوّغات (الاتِّساع) وهو : (كثرةُ الاستعمال)، في تحول الاتِّساع الى الحقيقة، مما يُزيل القيمة الجمالية او التأثيرية، وإبقائهِ في حدود القيمة المعرفية.

وأشار أبو حيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ) دون تحديد المفهوم، مكتفياً بدلالة التوسُّع ضد التضييق، وهذا هو معناه اللغوي الجاري على الاقتدار والاختيار[٦٠]، وقد اجتهدَ البلاغيون والنقاد القدماء في الوقوف على اساليبَ متعددة في الكلام يتصرف بموجبها وقفاً لمبدأ توليد دلالاتٍ جديدة منبثقة عن الأصل، وتؤطر لجماليات لا يُفرزها النص اتباعاً؛ بل بوساطة النظر الحصيف المتّقدِ، والخبرة العالية، وهذا ما عبّر عنه المرزوقي (ت٤٢١هـ)

حين استعمل (الاتِّساع) باستفاضةٍ في ((شرح ديوان الحماسة))[٦١]، مع مراعاةِ عدم تقاطع الدلالات الجديدة مع الأصل، مما يفسح المجال للتأويل وهذا ما نجده متمثلاً في إشاراتِ علي بن خلف الكاتب (ت بعد ٤٣٧هـ) مؤكداً التقاءَ المجازِ بالاتِّساع في دلالةٍ واحدةٍ[٦٢].

تلتقي الدلالة اللغوية للاتِّساع بالدلالة الاصطلاحية عند ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) الذي يُعدُ أولَ من افردَ لهُ باباً وقدّمَ تعريفاً نظرياً بقولهِ : ((وذلك أن يقولَ الشاعرُ بيتاً يتسعُ فيه التأويل، فيأتي كلّ واحدٍ بمعنى، وانما يقع ذلك لاحتمال اللفظِ وقوته واتِّساع المعنى))[٦٣]؛ وانطلاقاً من هذا الفهم فإننا نجدُ أنفسنا أمام رؤية نقدية تتعددُ فيها وجوه التأويل من الملتقي، وتفتحُ أبواب التأملِ والاختيار؛ وفقا لاحتمال اللفظ وقوتهِ، مما يُخرجهُ من نطاقهِ الضيق المعياري الى فضاءٍ إبداعي يُشكّل قيمة فنية للقول الأدبيّ عموماً، وهذا ما أفصحت عنهُ الرؤية التأصيلية في نقد ابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) الذي اتخذ من صيغتي (التوسُّع) و(التوسيع) مفاهيم متعددة منها : (التسامح)، و(الإبعاد) في الاستعارة[٦٤]، وهي : أحد منجزات اللغة ، إضافة الى العدول عن الوجهِ في الكلام؛ وتأكيداً لمحورية هذا البعد النقدي والبلاغي، وعمق تأثيرهِ، فقد اباحَ عبد القاهر (ت٤٧١هـ) كُلَّ المصطلحات والمفاهيم الخاصة بالاتِّساع، الداخلة في ضمن حدوده في حديثهِ عن(اللفظ والمعنى) و(المعنى ومعنى المعنى) و(الاتِّساع والتخييل)، وأوضحت الدراسات النقدية الحديثة منهجية عبد القاهر في إقامتهِ صرحَ الاتِّساع النقدي والبلاغي معياراً لقياس البنية المجازية، وهي ((في جوهرها ليست إلاّ اهتزاز التطابق بين الدّال والمدلول، إذ يعتمدُ تفسير الاتِّساع على انزياح يتمُّ داخل اللغةِ الشعرية))[٦٥] في الوقت الذي يُقيم فيه المجاز على التوسّع في الدلالة، لا على النقلِ من معنىّ الى آخر، وتمتزجُ نظريتهُ في النظمِ برؤية ابن جني في الخصائص فكان ملهماً لهُ بحقّ[٦٦]، وتَمثَّلَ مفهوم الاتِّساع في شرح المعلقات السبع للزوزني (ت٤٨٦هـ) بالإشارة الى مفهومهِ الاصطلاحي، الذي أفضى بهِ إلى الخلل على مستوى البنية السطحية لبعض العبارات الشعرية، التي أوردها في بيت امرئ القيس[٦٧]:

ويومَ عقَرتُ للعذارى مطيَّتي فيا عجباً من رَحْلِها المُتَحَمِّلِ

يتضحُ المفهوم وتتحددُ أحواله ويصبحُ أكثر رسوخاً عند ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) الذي اطلق للاتِّساع صوراً تفيضُ مرونةً وتنهضُ على غير علاقة المشاركة[٦٨]، مع ضرورة ارجاع الصورِ الاستعارية الى أُصولها التشبيهية شرط توفر عنصر المناسبة بين أطرافها،

الأمر الذي يحّدُ من أُفقِ الشاعر واتّساعه اللغوي، واجراء صورهِ على التشبيه، ولو دققنا النظر في تعقيب ابن الأثير على قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[فصلت: ١١]، نجدهُ يُلقي الضوءَ على نسبةِ القولِ إلى السماءِ والأرضِ من باب التوسُّع؛ ((لأنهما جماد، والنطق إنما هو للإنسان لا للجماد، ولا مشاركة بين المنقول والمنقول اليه))[٦٩]، ومثل هذا التعقيب أوردهُ في قول الرسول (ﷺ): ((هذا جبلٌ يُحبنا ونحبهُ))[٧٠]. وعَمَدَ ابن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ) الى تحويل القبلة البحثية في ترسيخ مفهوم (الاتّساع)، من جفاف القاعدة إلى طراوة الوظيفة والترجيح بين الأقوال، حين وضعَ باباً (للاتّساع) في كتابيهِ : (بديع القرآن)[٧١] و(تحرير التحبير)[٧٢]، في حين رصدَ حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) خصائص (الاتّساع) عبر مساراتهِ، وطرائق فعلهِ في تشكيل دلالات جديدة، وتوطيد علاقتها بقوانين التغيير عبر استشهادهِ بقول المتنبي[٧٣]:-

لبِستَ لها كُثرَ العَجَاجِ كأنَّما أرى غيرَ صافٍ أن ترى الجوَّ صافياً

وقول النابغة الذبياني[٧٤]:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهُم بِهنَّ فُلولٌ مِن قِراعِ الكتائبِ

ويناقش بدر الدين ابن مالك (ت٦٨٦هـ) مصطلح (الاتّساع) في اثناء حديثهِ عن (الإيجاز) و(الاطناب البعيد) عن خروجهِ على الأساليب اللغوية الاعتيادية أو النمطية[٧٥]، في حين تتكشفُ احتمالات النص الممكنة دون ترجيح احتمالٍ على آخر ضمن رؤية السجلماسي (ت ٩٠٣هـ) الفلسفية[٧٦]، إذ أوضح محمد المبارك أن فلسفة السجلماسي للاتّساع تقوم على نوعين من الاتّساع[٧٧]:

النوع الأول : الاتّساع الأكثري[٧٨] : وهو أن يتخذ اللفظ البتة ويختلف في تأويلهِ.

النوع الثاني: الاتّساع الأقلي[٧٩]: وهو اللفظ يَرِدُ على صورةٍ ويحتمل أن يكون على غيرها.

ومع غياب مصطلح (الاتّساع) عند بعض البلاغيين، ومنهم : السكاكي (ت٦٢٦هـ)، ومحمد الجرجاني (ت٧٢٩هـ)، ونجم الدين ابن الأثير الحلبي (ت٧٣٧هـ)، والقزويني (ت٧٣٩هـ) ؛ بسبب نِهوضِ وعيهم بتوجيهِ المصطلحات البلاغية الى الجدّة وعدم التكرار، الذي شكّل عائقاً أمام التفاعل مع النصوص؛ أو ربما يعود السببُ الى غياب المصطلح

مسبقاً عند السكاكي الذي يُعدَّ مرجعاً أساسياً من مراجع الحكم البلاغي والنقدي، مع ذلك نلمح بصيص حضوره في مصنفاتهم من خلال اقترانهِ بالمجاز جزئياً[٨٠]، وانفصالهِ بقوةٍ عن مفهوم (الاتِّساع)، أما يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٩هـ) فأنطلق في مفهوم الاتِّساعي من الإيمان بأن هذه اللغة واسعة بشموليتها لكل أنواع المجازات، مُشدِّداً على ضرورة ربطهِ على الدوام بالتفنن في الكلام، والتصرفِ والاقتدار على المعاني، ((واشترط لتحقيق البديع في الكلام : أن يكون المجاز حاصلاً في الاستعارة))[٨١] وهذا نمطٌ من أنماط التفكير العربي الذي يفي بمطالبِ الحاجة إلى التحسين البديعي[٨٢]، في حين نجد ابن معصوم المدني (ت١١١٩هـ) معترفاً باقتران الاتِّساع بالمجاز اعترافاً صريحاً، وعدّهُ من دواعي استعمال العربِ وميلهم إلى الاتِّساع في الكلام، مما يفسحُ المجال للتأويل بحسب ما تحتمله الألفاظ ، يتجسد بوضوح في قولهِ[٨٣] :

قُلْ في عليٍّ أميرَ النّحلِ غُرتُهم ما شئِتَ وفقَ اتِّساعِ المدحِ واحتَكِمِ

تأسيساً على ما سبق، نؤكد أنّ المجال الأرحب لجهود الباحثين القدماء والمحدثين تتطلعُ إلى حقيقةٍ ضرورية، هي : ضمان الحاجة إلى معالجة تطبيقية لقضايا الاتِّساع البلاغي، مشروطةً بتجاوز مظاهرهِ النمطية التقليدية، والتُّجرد الضامن لجدّية ما يندرج تحتهُ من مسمّيات في علوم البلاغة الثلاثة : (المعاني، البيان، البديع)، مع مراعاة الرافد الإعجازي الذي يُبرز النواحي الجمالية، من خلال تجليةَ الذوق النقدي البلاغي القرآني، والعناية بتكافل المحتوى وتآزر أجزائهِ، وتوحّد معطياتهِ في ضوء منهجٍ موضوعي متكامل.

٢- نحو مفهومٍ جديد للاتِّساع البلاغي في القرآن :

أدركنا بوساطة تناولنا مفهوم (الاتِّساع) في الدراسات اللغوية والبلاغية والنقدية، صفةَ المطاطية والمرونة اللتين تطبعان هذه الظاهرة؛ لاحتوائها على أساليبَ تحويلية متنوعةِ الأبعادِ، تعتمدُ على القدرةِ التضمينيةِ التي تُنتجُ نوعاً من التصرفِ ((عن العلاقاتِ المجازيةِ الناشئةِ حولَ بعض العناصر اللغويةِ المكوَّنةِ للتركيب اللغوي، مخالفةً الحقيقة التي يُبيحها العرفُ اللغوي))[٨٤]، وهذا ما أشار اليه القدماء في مواضع متعددةٍ منها: احلالُ عنصرٌ معين محّل آخر في التركيب اللغوي بعد اشرابهِ المعنى الدلالي، ولهذا عَني الباحثونَ والمفسرونَ بتقصّي هذهِ الظاهرة في أسلوب القران الكريم؛ وذلك ((لِما لها من أهمية في تبيين مقاصد القرآن، وتجلية معانيهِ، ورسوخ دلالاتهِ))[٨٥]، فالاتِّساع القرآني يتضمن أساليبَ

تعبيريةِ فيها من الدقةِ ما يعجز عن الاتيان بمثلِهِ أساطينُ اللغةِ والبيانِ، فهو في اللغة العربيةِ عموماً، وفي الاسلوب القرآني على وجهِ الخصوص، أكثرُ من أن يُحاطَ به لما فيه ((من المرونة والقدرة على التبدلِ، والتحولِ في الصيغ والتراكيب، وتوليد المعاني، والتوسّع فيها بطرائقَ فنيةٍ تصلُ أحياناً الى درجةِ الاعجاز))[٨٦]، حيثُ تحتشدُ في الأُسلوب القرآني انماطٌ متعددة من الاتِّساع، تُصنفُ وفقاً للدلالةِ والتراكيب والصوتِ، في كل علوم البلاغةِ العربية والأسلوبياتِ الحديثةِ ((فتورد إمكانياتٍ وتقسيماتٍ لغويةٍ وبلاغيةٍ تقتضي ضرورة الإحتكام الى معايير تسعى الى تحقيق مستويات التحليل الصارم، وتكشفُ عن طاقاتِ النص التعبيرية))[٨٧]، وهذا المفهوم يفرضُ علينا التساؤلَ الآتي : ما هوَ الاتِّساع القرآني؟ وهل هذا المفهوم مُحدد بمستويات اسلوبية مُعينة؟

يتبينُ لنا عبر تقصينا لهذهِ الظاهرة في أسلوب القرآن الكريم أنها تشكّل علاقاتٍ نظمية منضبطةٍ، وملابساتٍ سياقية تتمّ بوساطة الارتكاز على أسس وقواعد تعملُ على تغيير مساراتِ البعد الدلالي للمفردات أو التراكيب اللغوية ذات الصلةِ بالقيم الاستبدالية للوحدةِ اللغوية في الإنجاز اللغوي، مما يدفع ((المتكلم إلى التنويع في تحقيقها، والمحافظةِ على وظيفتها المخصوصة بها، من حذفٍ، واجتراء، وابدالٍ، وتضمينٍ، وتقديمٍ، وتغيير للحركات، وما إلى ذلك من أنماطٍ))[٨٨]، يزخرُ بها الأُسلوب القرآني وتتنوعُ مظاهرهُ، ويؤكد اسهام الباحثين في إرساء الضوابط والخصوصيات التي من شأنها وضع مفهومٍ عامٍ يُغذي ظاهرة (الاتِّساع) ويتبين أثرهُ البلاغي في القرآنِ الكريمِ، وانتاج نظرة جديدة واعية لتأطير هذا المفهوم، والسعي إلى وضع منهج شمولي يجمعُ بين القدمِ والحداثة، ويقتربُ في الصياغة ليُفرز ما درتّه المطارحة الأولية في استقصائنا وتحليلنا على مفهوم الاتِّساع البلاغي القرآني على إنه ((ظاهرةٌ اسلوبية مرهونةٌ بعدم ضياعِ الطاقةِ الاخبارية المقصودة، والوقوفِ على مستدعيات الحدث اللغوي المحقّق))[٨٩]، ومظاهر الاتِّساع مهما تنوعت وتعددت؛ فإنها تبقى مع مرونتها مرتبطة بقواعدَ خاصةٍ توجهها وتضبطُ أحكامها وأنماطها الأسلوبية.

يشكل الوقوف على مقاصد كلام الله تعالى هدفاً سامياً بما يمثله من غاياتٍ يسعى إليها جهد من يبحث في معاني القرآن الكريم، وهذا الهدف يستوجب الوقوف عند محطة مهمة تعدُّ حلقة الوصل لتبيين تلك الدلالات، وهذه المحطة تتمثلُ في وظيفة المفسِّر؛ فهو ((لا يُفسر لنفسهِ؛ إنما يُفسر للناس))[٩٠]، وإدراك جميع الإمكانات الأُسلوبية لتقصّي مواطن

الإبداع والتأويل والاتِّساع، كما يفتح المجال أمام الأدوات الممكنة لإثراء عملية الإدراك الفعلي عن طريق التفاسير التي اعتمدت الاتِّساع فأصبحت من الأسفار الكبيرة[٩١] المؤصِّلة للدلالات الاتِّساعية وبيان وجوه تأويلها وتعددها.

وعلى وفق هذه الرؤية نؤكد أن القرآن الكريم بأساليبه المتجددة، وإن كانت تراكيبه – من وجهة نظر بلاغية تقليدية – قائمة على تقديم وتأخير، وفصل، ووصل، وتشبيه، واستعارة، وكناية، وما إلى ذلك؛ إلاّ أنها لم تجعله قيداً يُقيد المعنى ويحدده؛ ليقف عند حدود تحليل المتلقي لتقانات اللون البلاغي؛ بل وجّه الاتِّساع البلاغي القرآني التراكيب من زوايا نظر متعددة وفقاً لآليات تستثمر التقانات البلاغية بوصفها آليات الكشف عن المعنى، كما ينزاح الاستيعاب معانٍ إضافية تثري البُنى الكلية في أنظمة متماسكة وسعت دائرة الأدوات التي تُعين الباحث على فهم كتاب الله تعالى، بالخروج عن حدود اللغة واستثمار معطيات العلوم التجريدية والنظريات الحديثة التي تسهم في تسليط الضوء على معاني كتاب الله تعالى، وترسيخ نظريته الاتِّساعية.

الخاتمة :

توصّل البحث إلى جملةٍ من النتائج والملاحظات العلمية يمكن تسجيل أهمها في الآتي :

١-إجماع معاجم اللغة على إرتباط مادة (وَسَعَ) بمعناها اللغوي مع المدلول الاصطلاحي.

٢-اقترن مصطلحُ الاتِّساع بمظاهره المتعددة بمستويات اللغة، واحتكامه لضروبٍ من شجاعة العربية.

٣-هناك خلطٌ واضح في مفاهيم الاتِّساع وما يندرج تحتها بين الرؤيتين اللغوية والبلاغية.

٤-ظلَّ مفهوم الاتِّساع ولفتراتٍ طويلة مفهوماً عائماً في متون المؤلفات؛ بسبب عدم إستقرارهِ، واستقلالهِ ظاهرةً منفردة لها خصوصيتها الأسلوبية.

٥-يمتزج الاتِّساع البلاغي بصنوف البلاغة وعلومها الثلاثة، ويمثل عمدة الإبداع الجمالي الذي ينزاحُ بالدلالات إلى آفاقٍ رحبة.

٦-شكَّل الاتِّساع البلاغي قضية مهمة في تأريخ البلاغة والنقد الأدبي العربي؛ إلا أنه تمثل في شذرات مبثوثة في متون المؤلفات العربية.

٧-ارتبط مفهوم الاتِّساع من وجهة نظر بلاغية بالتصرّف في الكلام، وتوظيف طاقات اللغة؛ لاختراق النمطية التي يولدها السياق العام.

٨-يفسحُ (الاتِّساع) بمفهومه البلاغي المجال للتأويل، مؤكداً التقائهِ بالمجاز في دلالةٍ واحدة.

٩-أوضحت الرؤية التأصيلية (للاتِّساع) عن ثباتهِ ظاهرةً حتمية، وضرورة مًلحة من ضرورات اللغة؛ لارتباطه بمعنى المعنى، ونظرية التخييل، والبُنى البديعية والبيانية القائمة على جمال التصوير، والتفنن في أساليب القول.

١٠-تحتشدُ في أساليب القرآن الكريم الذي يمثل نقطة الانطلاق الأولى لمستويات الاتِّساع الإبداعي، طرائق فنية تعبيرية قادرة على التبدل، والتحول، والتغيير، والعدول في الصيغ والتراكيب وتوليد المعاني إلى درجة الإعجاز.

Abstract

Broadening Phenomenon- A Study of the Linguistic and Rhetorical Aspects

Key words: Broadening, Phenomenon.

Researcher
Assist. Inst. Huda Saihood Zarzor
Dept. of religious education and Islamic Studies

Supervisor
Assist. Prof. Ph.D. Bassim Mohammed Ibrahim Al-Fahad
College of education for humanities/Diyala university

Starting from the knowledge convictions that emphasize broadening as an inevitable phenomenon and a necessity of Arabic language requirements. The recent study dealt with this phenomenon in the Arab heritage from the first sources and stood on its progress, transformations, and controls in both old and modern studies. Also, it sheds light on a concept that establishes the constants, and elevates new ideas to formulate a different conceptual perception holding a renewed view of the phenomenon of broadening in the thought of rhetorical and critical Arabic.

الهوامش

* بحث مُستل من أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ((الأثر البلاغي لظاهرة الاتِّساع في أُسلوب القرآن الكريم)).

(١) ينظر: لسان العرب: مادة (وَسَعَ)

(٢) لسان العرب: مادة (وسع)، القاموس المحيط: مادة (وسع).

(٣) القاموس المحيط: مادة (وَسَعَ)، أساس البلاغة: (وَسَعَ).

(٤) لم اعثر على البيت في ديوان النابغة، الذي فيهِ قصيدة على وزنهِ ورويهِ، وجَاءَ في رواية أخرى البيت نفسِه : ((وإذا هجرتُكَ ضَاقَ عني مذهبي))، ينظر: أساس البلاغة: مادة (وَسَعَ).

(٥) ينظر: المصدر نفسه: مادة (وَسَعَ)، وديوان الأخطل (غياثُ بن غوث بن طارقة بن عمرو)، ٣ و٢٤٠.

(٦) ينظر: لسان العرب: مادة (وَسَعَ).

(٧) كتابُ (التوسعة) لابن السكيت، وهو من الكتب المفقودة والمشهورة عند العلماء، ذكرهُ السيوطي في الأشباه والنظائر عند كلامه على باب القلب، قال : ((وفي كتاب التوسعة لابن السكيت أن ((عِرضتُ الحوضَ على الناقةِ مقلوبٌ))، يُنظر: الاشباه والنظائر في النحو: ٣٢٧/١.

(٨) يُنظر: لسان العرب: مادة (وَسَعَ).

(٩) ينظر : الكُلَّيات :٣٤، ومعاني القرآن وإعرابه (الزجّاج) : ١٨٢/٣، والخصائص :٤٥٠/٢، والأشباه والنظائر: ٢٧٦/٣.

(١٠) ينظر : الخصائص :٥٢/١، والمفصل في صنعة الإعراب : ٤٨٢، ومغني اللبيب من كتب الأعّاريب : ٨٣٦.

(١١) ينظر: الخصائص : ٤٣٣/٢ و٢٧٩/٣، والأشباه والنظائر :١٤٨/٣.

(١٢) ينظر: الخصائص :٣١٩/٣.

(١٣) ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية : ٢١٨.

(١٤) الاتِّساع اللغوي بين القديم والحديث : ١٩.

(١٥) فقه اللغة العربية، فصول في نشأتهِ ومباحث في تأصيلات معارفهِ، د. عبد الحسين مهدي عواد، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٨م– ١٤٢٩هـ، ٢٢.

(١٦) منه قوله تعالى : (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) [البقرة:٢٢٨]، يقول النسفي: (وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء؛ لاشتراكهما في الجمع اتساعاً، والقروء أكثر استعمالاً في جَمع قرء) تفسير النسفي المسمّى مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ١١٤/١.

(١٧) أشار صاحب الشافية إلى الاتِّساع في الموازين سماعاً بأبيات شعرية، مؤكداً ذلك بقوله : (اعلم ان هذه الجموع لفظاً ومعنى، ولها آحاد من لفظها؛ الاّ انها جاءت على خلاف القياس الذي ينبغي ان يجيء عليه الجمع) الشافية في علم التصريف : ٤٥، وشرح شافية ابن حاجب: ٢/٢٠٤-٢٠٦.

(١٨) يذهب ابن جني الى أن ابدال الحروف يكون ضرباً من الاتِّساع في مثل :١- حَيْوة،٢- النداوة،٣- جمع شيراز وديماس،٤- غديان وعشيان،٥- دامتُ السماء دَيْماً،٦- يؤكرم ويؤحسن، قالوا:- فإنه اهلٌ لأن يؤكرما- ونظائر ذلك كثيرة، ينظر : سرِّ صناعة الإعراب: ٢/٧٤٩، والخصائص: ١/١٣٣و٣/١٨٢و١/١٤٣-١٤٤.

(١٩) علم الدلالة (احمد مختار عمر) :١١.

(٢٠) اللغة والمعنى والسياق : ٢١.

(٢١) الألسنية وعلم اللغة : ٢١١.

(٢٢) ساقَ ابن جني هذا المعنى، وعدّهُ ظاهرةً، ومثّلَ له بالبيت : كفى الشيبُ والاسلام ُ للمرءِ ناهياً، ينظر : الخصائص : ٢/٤٩٠ و٣/١٧٢، والبيتُ (لسحيم) عُمير بن الحسحاس، وصدرهُ : عُميرة وِدعِ ُ إن تجهزتُ غازياً، ينظر: البيان والتبيين :١/٥٢، وطبقات فحول الشعراء: ١/١٨٧، والأغاني : ٢/٣٠٧، ومنهُ قول الخنساء في رثاء اخيها حين مات ودفن في جبل عُسيب : ابعدَ ابنَ عمرو من آل الشريـ دِ حَلتْ بهِ ِ الارضٌ أثقالها.

ينظر: الخصائص :٣/١٧٢، وتفسير غريب القرآن :١٢٢، وديوان الخنساء(تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد) : ١٠٠.

(٢٣) يُنظر: صور من اتِّساع دلالة الألفاظ والتراكيب في تفسير الكشاف : ٦.

(٢٤) معجم علم اللغة النظري: ٢٥٠.

(٢٥) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن، باب (أُنزل القرآن على سبعةِ أحرف)، رقم الحديث (٤٩٩٢)، ٨٤٠.

(٢٦) الإبانة عن معاني القراءات: ١٤٢.

(٢٧) القواعد والإشارات في أصول القراءات : ١/٥٣.

(٢٨) القواعد والإشارات في أصول القراءات: ١/٤٤.

(٢٩) مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن :٢٧٦.

(٣٠) ينظر: الأُسلوبية والأُسلوب: ١٦٢-١٦٣، وأثر اللسانيات في النقد العربي الحديث : ٢٦ و٤٧، والانزياح وتعدد المصطلح : ٥٧.

(٣١) ينظر: البلاغة والأدب من صور اللغة الى صور الخطاب :٧٨.

(٣٢) يُنظر: الانزياح وتعدد المصطلح : ٥٧.

(٣٣) في اللسانيات العربية المعاصرة :٢٠٣.

(٣٤) تداولية التجوّز والاتّساع :١٩.

(٣٥) القراءة المعاصرة للتراث النقدي والبلاغي :٦٣.

(٣٦) ينظر: الحيوان:١٩٩/١

(٣٧) هو عبد المسيح بن حكم بن عفير، و(عُسلة) اسم أمهِ التي نُسبَ اليها، وهي عُسلة بنت عامر بن شراكة الغساني، ينظر: البيان والتبين: ٢٢٩/١.

(٣٨) المدجنة : القينة تُغني في يوم الدجنِ، وهو تكاثف الغيوم، تعللنا: تلهينا بصوتها، ينظر: الحيوان : ٢٢٩/١.

(٣٩) النمريُ: هو كعب، أحد بني النمر بن قاسط، أي: يحسب القينة في عظيم قَدرِها عمّاً للسمّاكِ وخالةً للثريا، ينظر : الحيوان : ٢٢٩/١.

(٤٠) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (صفة القيامة)، باب مثل المؤمن مثل النخلة، حديث رقم (٢٨١١)، ٧١٤، وينظر: البيان والتبين : ١٢٢٩.

(٤١) النظريات اللسانية والبلاغية الأدبية عند الجاحظ :٢٧٧.

(٤٢) ينظر : التفكير البلاغي عند العرب : ٣٠٣، وأصول البيان العربي :٤٠-٤١، ومصطلحات بيانية : ١٩، والمجاز في البلاغة العربية :٦٢.

(٤٣) ينظر : عيارُ الشعر: ١٢٣.

(٤٤) البرهان في وجوه البيان : ٧٧-٧٨.

(٤٥) ينظر : البلاغة تطّور وتاريخ : ١٠١

(٤٦) المجاز في البلاغة العربية :٧٧.

(٤٧) ينظر : تمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر:١٩.

(٤٨) لفظة (ضرير) إنّما تستعمل من الضرّ على وزن (فعيل) لمن لا بصرَ لهُ، وقول الشاعر هنا دليل على التناقض؛ أي : أنّه ضرير وذو بصر، وقد ورد هذا البيت في نقد الشعر :٨١.

(٤٩) ينظر: الموازنة: ٥٥٨/٣، والبيت للبحتري يمدح أبا الحسن بن عبد الملك بن صالح بن علي الهاشمين ديوان البحتري : ١٨٤/٢.

(٥٠) لمزيد من التفصيل، ينظر : الموازنة :١٤٧/٢-١٥٤، وقد أختلف في نسبة البيت، فمنهم من قال انه لزهير، ينظر: العمدة :١٢٤/٢، ومنهم من نسبه لأبي جويرة العبدي، ينظر: أمالي الغالي : ١٠٥/١.

(٥١) الهيف: جمعُ هيفاء : وهي الرقيقة الخصر، والوشح: جمع وشاح : قلادة عريضة، يريدُ لو جُعل الخلخال موضع الوشاح لدار عليهِ، ولم يضيق عنه، لما هي عليه من الرقة، ينظر : ديوان ابي تمام: ٢٥٦، والموازنة :١٤٧/٢.

(٥٢) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ١٧٢.

(٥٣) هو أبو القاسم عبدالصمد المعذّل بن غيلان بن الحكم البُحتري الأسدي (ت٢٤٠هـ)، وهو من شعراء العصر العباسي الاول، له قصيدة مشهورة :-

باكرتُهُ الحمّى وراحت عليهِ فكستهُ حُمّى الرَّواحِ بَهارا

البهار : نبتٌ طيب الريح زهرتهُ صفراء، ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٢٩١، وديوان عبد الصمد بن المعذل: ٤٣.

(٥٤) التشخيص (personification) : ((وَجَدَ هذا المصطلح حضوراً فاعلاً في الدرس النقدي العربي؛ لارتباطهِ بإضفاء الصفات الإنسانية على كلّ المحسوسات المادية، والأشياء المعنوية))، شعرية المغايرة، دراسة لنمطي الاستبدال الاستعاري في شعر السياب : ١٦.

(٥٥) ينظر : النُكت في إعجاز القرآن :٧٦.

(٥٦) الاتجاه العقلي في التفسير : ١٢١.

(٥٧) ينظر : بيان اعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن :٤٢.

(٥٨) حلية المحاضرة : ١/١٢٤-١٣٠.

(٥٩) ينظر : كتاب الصناعتين : ١٥-١٦.

(٦٠) ينظر : الإمتاع والمؤانسة : ٣/١٠٦.

(٦١) ينظر : شرح ديوان الحماسة : ١/٢٩، ولعلنا لو استقصينا الأمثلة التي أوردها أبو تمام، نجد الكثير من الشواهد التي يضيق المقام عن ذكرها.

(٦٢) ينظر : مواد البيان:١٤٩.

(٦٣) تُشير أمثلة الاتِّساع عند القيرواني إلى مخالفتها العُرف وكسر أفق التوقع، ينظر: العمدة: ٢/٩٣-٩٤.

(٦٤) ينظر : سرُّ الفصاحة : ٤٠-٤٢.

(٦٥) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني : ١٢٣.

(٦٦) ينظر: جماليات الأسلوب والتلقي :٤٩، المقدرة اللغوية في النقد العربي ضمن (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) : ٨٤، وتتفاوت العقول فيها؛ لكثرة احتمالاتهِ لنكتة ماء كفواتح السور، ينظر: عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص : ٤/٤٦٩.

(٦٧) ورد في الديوان (رحلِها) ديوان امرئ القيس : ١١٢، وورد في رواية الزوزني (كُورِها)، ينظر: شرح المعلقات السبع:٧٥.

(٦٨) من هذه الصور : ١- أن يكون ظاهر الكلام لغيرك وباطنه خطاباً لنفسك، وهو ما عُبرَ عنه بـ (التجريد)، ينظر: المثل السائر: ٢/١٦٠-١٦٢، ٢- (نفي الشيء بإثباته)، يتمثل في مفهوم(عكس الظاهر)، ينظر: المصدر نفسه : ٢/٢٤٨.

(٦٩) ذَكَرَ كلاماً يدل ظاهره أنه نفي لصفةِ موصوفٍ، وهو نفي للموصوف أصلاً، المثل السائر :٢/٨١.

(٧٠) جعل اضافة المحبة إلى الجبل من باب التوسّع، فلا سبيل للمشاركة بينهما، والحديث صحيح أخرجهُ البخاري في صحيحه، رقم الحديث (٢٩٦)، ص ١٣١٢، ويُنظر : المثل السائر : ٨١/٢.

(٧١) وقف المصري عند قوله تعالى : {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} [البقرة: ١٦]، قائلاً : (إنَّ اشتراء الضلالة وبيع الهدى مجاز، ثم استعملا في غيرهما توسّعاً)، بديع القرآن :٣٢.

(٧٢) من هذهِ دلالات الاتِّساعية ما يظهر في منازع الشعراء وهي : ١- ما كان من جهة التبديل ٢- ما كان من جهة التغيير ٣- الاقتران بين شيئين ٤- أو نسبة بينهما ٥- أو نقل من أحدهما إلى الآخر ٦- أو التلويح ٧- أو الاشارة اليه، ينظر : تحرير التحبير : ٤٥٤، وبديع القرآن :١٧٣.

(٧٣) العلاقة في بيت المتنبي قائمة على لطفِ المأخذِ، حيث يقول : أن مواصلة هجر الحبيب لي، وهجر وصالهِ إيّاي قد أعادتني الى السقم بعد الصحبة، كما يُعاد الهلال الى المحاق بعد تمامهِ، ديوان المتنبي(صنعة البرقوقي): ٣٠٩/٣، ينظر: منهاج البلغاء :٣٦٧.

(٧٤) ديوان النابغة الذبياني (القسم الأول) رواية الأصمعي من نسخة الأعلم الشنتمري : ٤٤

(٧٥) ينظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع :٧٣.

(٧٦) ينظر: المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، مقدمة المحقق :٤٧.

(٧٧) ينظر: استقبال النص عند العرب : ٢٢٣-٢٢٤.

(٧٨) سُميَّ الأكثري؛ لكثرة وقوعهِ في كلام العرب والكتاب والسُّنة، وعموم الخلاف في القرآن والسّنة يقع ضمن هذا النوع ممثلاً لهُ بقولهم : ((هذا أمرٌ لا ينادى وليدة))، المنزع البديع :٤٣١.

(٧٩) سُمّي الأقلّي؛ لوقوعهِ في المبالغةِ مع اشتراط وقوع ضابط بقوة الدلالة اللفظية او الحالية، واشتُرِطَ في هذا النوع شروطاً منها : ١- التأويلات المتكافئة الدلالة. ٢- الاحتمالات المتقادمة الراجحةِ. ٣- الأدلة العاضدة للتأويلات، ينظر: المنزع البديع : ٤٣٢، واستقبال النص عند العرب :٢٢٤-٢٢٥.

(٨٠) ينظر: مفتاح العلوم : ٣٩٢-٣٩٨، الإشارات والتنبيهات:٢٠، جوهر الكنز:٥١-١١٩، الإيضاح :٨٠/١-١٠٣.

(٨١) الطراز المتضمِّن لأسرار البلاغة :٢١١/٣-٢١٢.

(٨٢) ينظر: الضرورة الشعرية :١١٤.

(٨٣) ووردَ أيضاً في قوله تعالى : {والشفع والوتر} [الفجر: ٣]، حيث تؤول هاتين اللفظتين على ثلاثة وعشرين قولاً، ينظر: أنوار الربيع :٥٣/٦.

(٨٤) أساليب البيان في القرآن :١٤.

(٨٥) قضايا لغوية قرآنية : ١٢٣.

(٨٦) الإتجاه العقلي في التفسير : ٨٣.

(٨٧) الاتجاه العقلي في التفسير : ٩٠.

(٨٨) أساليب الخطاب في القرآن الكريم، دراسة تحليلية :١٩٣.

(٨٩) مصطلح الاتسّاع في النحو العربي :٧٦.

(٩٠) مناهل العرفان : ٤٥٣/٢.

(٩١) مثل : تفسير الطبري، والقرطبي، والرازي، والزمخشري، وابن عاشور، والبيضاوي، والعمادي والشنقيطي، والآلوسي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الإبانة عن معاني القراءات : مكي بن أبي طالب القيسي، تح: عبدالفتاح اسماعيل شلبي، دار نهضة مصر، ١٩٧٧م.
- الإتجاه العقلي في التفسير : نصر حامد أبوزيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.
- الاتِّساع اللغوي بين القديم والحديث : د. عطية نايف الغول، دار البيروني للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨م.
- أثر اللسانيات في النقد الحديث، د. توفيق الزيدي، الدار العربية للكتاب، تونس، ط١، ١٩٨٤م.
- أساس البلاغة، تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- أساليب البيان في القرآن : السيد جعفر السيد باقر الحسيني، مؤسسة بوستان كتاب إسلامي، حوزة علمية، قُم، ط١، ١٣٨٧.
- أساليب الخطاب في القرآن الكريم، دراسة تحليلية : أ.د. أحمد حاجم الربعي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٧م – ١٤٣٨هـ.
- استقبال النّص عند العرب : محمد المبارك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – دار الفارس، عمان، ط١، ١٩٩٩م.
- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، محمد بن علي الجرجاني (ت٧٣٩هـ)، تح: عبد القادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت).

- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، دراسة وتحقيق : عبدالله محمود شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م.
- أُصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصر : محمد حسين علي الصغير، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ١٩٨٦م.
- الأغاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن القرضي الأصفهانيِّ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ساسي.
- الألسنية وعلم النص : عادل الفاخوري، دار الطليعة، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٥م.
- الإمتاع والمؤانسة : أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العابس)، تح: هيثم خليفة الطعيني، المكتبة العصرية – بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
- الانزياح وتعدد المصطلح، أحمد محمد ويس، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد ٢٥، العدد ٣.
- أنوار الربيع في أنواع البديع، تأليف: السيد علي صدر الدَّين بن معصوم المدني (١٠٥٢هـ – ١١٢٠هـ)، تح: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م، (٤) أجزاء.
- الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، تأليف: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تح: إبراهيم شمس الدِّين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ.
- بديع القرآن، لابن أبي الاصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، تح: حفني محمد شرف، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م.
- البرهان في وجوه البيان : أبو الحسين إسحق بن إبراهيم ابن وهب الكاتب، تح: أحمد مطلوب، وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، ط١، ١٩٦٧م.
- البلاغة تطور وتأريخ : شوقي ضيف، دار المعارف، ط٨، ١٩٩٢م.
- البلاغة والأدب من صور اللغة إلى صور الخطاب : الدكتور محمد مشبال، دار العين للنشر، مصر، ط١، ٢٠١٠م.
- تأريخ النقد الأدبي عند العرب : إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت، ط٤، ١٩٩٢م.

- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لإبن أبي الأصبع المصري (٥٨٥ – ٦٥٤هـ)، تح: د.حفني محمد شرف، إشراف: محمد توفيق عويضة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
- تداولية التّجوز والاتّساع في كتب سيبويه (بحث) : أ. فريدة بن فضة، جامعة تيزي وزو، الجزائر، مجلة الخطاب، مج/ع٤، ٢٠٠٩م.
- تفسير النسفي المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، للإمام الجليل عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، اعتنى به : عبدالمجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- تفسير غريب القرآن، أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قُتيبة (٢١٣ – ٢٧٦هـ)، تح: السيد أحمد صقر، دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
- التفكير البلاغي عند العرب، أسُسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة): تأليف: حمادي صمو، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م.
- تمهيد في البيان العربية من الجاحظ إلى عبدالقاهر : طه حسين، ضمن كتاب نقد الشعر المنسوب لقدمة بن جعفر، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٨٠.
- جماليات الأُسلوب والتلقي : موسى ربابعة، مؤسسة حمادة، إربد، ط١، ٢٠٠٠م.
- حلية المحاضرة في صناعة الشعر : أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي، تح: جعفر الطيار الكتابي، رسالة ماجستير بمكتبة جامعة القاهرة.
- الحيوان، تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الحافظ (ت٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٨٤هـ–١٩٦٥م، (٨) أجزاء.
- الخصائص، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد–العراق، ط١٩٩٠،٤م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري (المُسمّى بالتبيان في شرح الديوان)، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأنباري، عبد الحفيظ شلبي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، (٤)أجزاء.

- ديوان البُحتري، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر – القاهرة، ط٣، ١٩٦٣م، (٥) مجلدات.
- ديوان الخنساء، شرحه : ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي، تح: د. أنوار أبو سويلم، دار عمار – الأردن، ط١، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
- ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف – القاهرة، ط٢، د.ت.
- ديوان امرئ القيس، ضبطهُ وصححه: الأُستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م – ١٤٢٥هـ.
- ديوان عبدالصمد بن المعذّل، تأليف : عبدالصمد بن المعذّل، تح: زهير غازي زاهد، دار صادر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٨م.
- سِرُّ الفصاحة، للأمير أبي محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجيَّ (ت٤٦٦هـ)، دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٢م – ١٤٠٢هـ.
- سرُّ صناعة الإعراب : أبو الفتح عثمان ابن جني (٣٩٢هـ)، تح: د. حسن هنداوي، دمشق – دار القلم، ط١، ١٩٨٥م.
- الشافية في علم التصريف : جمال الدين أبو عمرو عثمان الدويني المعروف بابن الحاجب، تح: حسن أحمد العثمان، مكة المكرمة – المكتبة المكية، ط١، ١٩٩٥م.
- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تأليف:أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (٤٢١هـ)، تعليق:غرّيد الشيخ، وضع فهارسه العامة:إبراهيم شمس الدَّين، دار الكتب العالمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣م –١٤٢٤هـ، (٤) اجزاء.
- شرح شافية إن الحاجب : رضي الدين محمد بن الحسن (٦٨٦هـ) الاستراباذي النحوي، تح: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر العربي– بيروت، ١٩٧٥م.
- شعر الأخطل، رواية عن أبي جعفر محمد بن حبيب، صنعة السكّري، تح: فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.
- شعرية المغايرة، دراسة لنمطي الاستبدال الاستعاري في شعر السياب، د. إياد عبدالودود الحمداني، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ط١، ٢٠٠٩م.

- صحيح البُخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)، طبعة متميزة مرقمة بترقيم فتح الباري، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- صور من اتِّساع دلالة الألفاظ والتراكيب في تفسير الكشاف (بحث) : د. محمد فاضل صالح السامرائي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة، ج١٩، ع٤٢، رمضان ١٤٢٨هـ.
- الضرورة الشعرية : محمد علي العدوان، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، الموصل، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلاّم الجُمحي : تحقيق وشرح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة - ١٩٧٤م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف:السيد الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني، مطبعة المتقطف، مصر، ١٣٢٢هـ-١٩١٤م، ٣ أجزاء.
- ظاهرة الاتِّساع في النحو العربي، حسن محمود شبانة، دار الفتح للدراسات والنشر، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧٣هـ)، تح:د.خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العالمية، بيروت- لبنان،ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- علم الدلالة : د. أحمد مختار عمر، عالم الكتاب الحديث - القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م.
- العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، تأليف: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (٤٦٣هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- عيار الشعر : ابن طباطبا العلوي، أبو الحسن محمد بن أحمد، تح: عبدالعزيز ناصر المانع، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني - القاهرة، (د.ت).
- فقه اللغة العربية، فصول في نشأته ومباحث في تأصيلات معارفه، د. عبدالحسين مهدي عواد، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٨-١٤٢٩هـ.

- فقه اللغة وأسرار العربية، تأليف الإمام أبي منصور عب الملك الثعالبي (ت٤٣٠هـ)، تح: عزت زينهم عبدالواحد، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- في اللسانيات العربية المعاصرة، دراسات ومثاقفات، د. سعد مصلوح، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م.
- القاموس المحيط، العلامة مجد الدِّين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي (٧٢٩-٨١٧هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- القراءة المعاصرة للتراث النقدي والبلاغي، د. إيهاب مجيد جراد، دار غيداء للنشر والتوزيع – عمان، ط١، ٢٠١٣م.
- قضايا الحداثة عند عبدالقاهر الجرجاني : محمد عبدالمطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – مصر، مكتبة لبنان، ناشرون – بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- قضايا لغويَّة قرآنيّة : أ.د. عبدالأمير كاظم زاهد، العارف للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر، تأليف: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ.
- الكُلَّيات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م) تح:عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١هـ)، تح: يوسف خياط، ونديم مرعشلي، المطبعة المنيرية الكبرى، بيروت – لبنان، ط٣، د.ت.
- اللغة والمعنى والسياق : جون لاينز، تر: عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٧م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تح: د.أحمد الحوفي، د.بدوي طباعة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط٢، د.ت.

- المجاز في البلاغة العربية : مهدي صالح السامرائي، دار الدعوة، حماة – سوريا، ط١، ١٩٧٤م.
- المصباح في المعاني والبيان والبديع، تأليف : بدر الدين بن مالك، حققه وشرحه ووضع فهارسه : د. حسني عبدالجليل يوسف، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، د.ت، د.ط.
- مصطلحات بيانية، دراسة بلاغية تأريخية : إبراهيم عبدالحميد السيد التلّب، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحق الزجاج، شرح وتحقيق : د. عبدالجليل عبدة شلبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- معجم علم اللغة النظري : تأليف : د. محمد علي الخولي، مكتبة لبنان – ناشرون، ط٢، ١٩٩١م.
- مُغني اللبيب عن كُتب الأعاريب : جمال الدين بن هشام الأنصاري، تح: حنا الفاخوري، دار الجيل – بيروت، ١٩٩١م.
- مفاهيم ومواقف في اللغة والقرآن : أ.د. تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- مفتاح العلوم، تأليف أبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، تح: د.عبد الحميد هنداوي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢،٢٠١١م.
- المفصَّل في صنعة الإعراب : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، تح: د. علي بوملحم، مكتبة الهلال – بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- المقدرة اللغوية في النقد العربي ضمن (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) : مصطفى ناصف، النادي الأدبي الثقافي – جدة، ١٩٩٠م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط٣، ١٣٦٢هـ – ١٩٤٣م.
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، لأبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي (ت٧٠٤هـ)، تح: علاّل الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط١،١٩٨٠م.

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة أبي الحسن حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ)، تقدم وتحقِيق:محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط٣، ١٩٨٦م.
- مواد البيان : علي بن خلف الكاتب، تح: حسين عبداللطيف، منشورات جامعة الفاتح، ١٩٨٢م.
- النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين : محمد الصغيرباناني، دار الحدثة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه : علي بن عبدالعزيز الجرجاني، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم، وعلي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط٣، (د.ت).